

فصل فى ملوك كندة

أول ملوك كندة حجر بن عمرو الملقب بأكل المرار وهو بن ولد كندة بن ثور بن عفير بن الحرث من ولد زيد بن كهلان بن سبا وكان بنو كندة قبل أن يملك عليهم حجرٌ هملاً لا يملك عليهم أحدٌ فهلك القوى العيف فلما ملك حجرٌ سدّد أمورهم وأحسن سياستهم وانتصف للمظلوم من الظالم وكان ابتداء ملكه سنة أربعماية ستين للمسيح قيل إنه لُقّب أكل المرار لأنه كان قد بلغته خيانةٌ من زوجته فاستشاط غضباً وجل كأمل المرار وهو نبات مرّ الطعم فقيل له ذلك وكان ملك حجر عشرين سنة ولما توفى ملك بعده ابنه عمرو بن حجر وكان يلقب بالمقصور لأنه قصر على ملك أبيه فلم يتجاوزه فأقام فى الملك ما شاء الله حتى قتله الحرث بن أبى شمر الغسانى فملك بعده ابنه الحرث بن عمرو وكان شديد الباس كثير الغزوات ولما ملك قباذ كسرى بن فيروز خرج فى أيامه مردك يدعو إلى الزندقة فأجاب كسرى دعوته وكان المنذر بن ماء السماء عاملاً لكسرى على الحيرة فدعاه إلى الدخول معه فى مذهب مردك فأبى فدعا الحرث بن عمرو فأباه فسدّد ملكه وطرده المنذر عن مملكته وملكه مكان المنذر كما سبقت الإشارة إلى ذلك فى الكلام على ملوك العراق وعظم شأن الحرث بعد ذلك وأقام على مملكته عزيزاً حتى ملك أنوشروان كسرى فقبض على مردك وصلبه فى جذع وأمر بقتل الزنادقة فقتل منهم فى ضحوة واحدة مائة ألف زنديق فى أمكنة شتّى من بلاده وطلب الحرث بن عمرو يريد أن يقتله أيضاً وكان الحرث بالأنبار فلما بلغه ذلك خرج هارباً فى أصحابه وماله وأولاده وكان كسرى قد أعاد المنذر إلى ملك الحيرة فخرج فى طلب الحرث

بالخيل من تغلب وبهراء وإياد حتى أدركه بأرض بنى كلب ولم يتمكن منه فنجوا وانتهبوا ماله وظعاينه وأخذت تغلب ثمانية وأربعين فنراً من بنى آكل المزار وقدمت بهم على المنذر فضرب رقابهم بحفر الأملاك في ديار بنى مربي بين دير هند والكوفة وكان فيهم اثنان من أولاد الحرث المذكور وفي ذلك يقول حفيده امرؤ القيس:

ملوك من بنى حجر بن عمرو	يساقون العشيّة يقتلوننا
فلو في يوم معركة أصيبوا	ولكن في ديار بنى مرينا
ولم تُفسَل جماجمهم بفسل	ولكن في الدماء مُزملينا
تظل الطير عاكفة عليهم	وتتنزع الحواجب والعيونا

وصار الحرث إلى مسحلان فقتله بنو كلب وقيل إنه مكث عندهم حتى مات وكان الحرث قد ملك أولاده في قبائل العرب فملك ابنه حجراً على بنى أسد وغطفان وملك ابنه شريحيل الذي قُتل يوم الكلاب على بكر بن وائل بأسرها وملك ابنه معدى كرب وكان يلقب غلفاء لأنه كان يغلف رأسه بالطيب على بنى تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة وطوائف بنى دارم بن حنظلة والصقايح وهم بنو رقية وملك ابنه عبد الله على بنى عبد القيس وملك ابنه سلمة على بنى قيس وكان حجر بن الحرث بعد أبيه في بنى أسد وقد أساء معاملته القوم وكان له عليهم أتاوة في كل سنة فأقصروا عنها وهربوا فبعث إليهم جائيهم الذي كان يخدمه فامتنعوا عليه وضربوه وأهانوا أصحابه وكان حجر يومئذ بتهمامة وهي خة متسعة بين الحجاز وأطراف اليمن فلما بلغه ذلك سار إليهم بجال من ربيعة وجند من رجال أخيه فظفر بهم وأخذ سرائرهم وجعل يقتلهم بالعصى فليل لهم عبيد العصا واستباح أموالهم وسيرهم إلى تهمامة وأقسم لا يساكنونه أبداً في بلد وحبس منهم عمرو بن مسعود بن كلدة بن فزارة الأسدي وكان سيد قومه وعبيد بن الأبرص الشاعر فقام عبيد بن الأبرص وقال أيها الملك اسمع مقاتلي وأنشد يقول *

يا عين ما فابكى بني	أسد فهم أهل الندامة
أهل القباب الحمر وال	نعم الموثل والمدامه

اسئل المثقفة المقامة
إن فى ما قلت أمه
بَ فالقصور إلى اليمامه
حُ محرقٍ أو صوت هامه
حلوا على وجَلٍ تهامه
برمت ببيضتها النعامه
نَشَمٍ وآخر من ثمامه
أن قتات فلا ملامه
وهم العييد إلى القيامه
ذلَّ الأشيقر ذو الخزانه

وذوى الجياد الجرد وال
حلًا أبيت اللعن حلًا
فى كل وادٍ بين يثر
تطريبُ عان أو صيا
ومنعتهم نَجْدًا فقد
برِمت بنو أسدٍ كما
جعلت لها عودين من
مهما تركت تركت عفواً
أنت المليك عليهم
ذُلُّوا لسطوتكم كما

فرق لهم حجر حين سمع قوله وأطلقهم وأما بنو أسد فلما رأوا ما كان منه تأمروا وقالوا والله إن قهركم هذا ليحكمنَّ عليكم حكم الصبى فما خير عيش يكون بعد قهر وأنتم بحمد الله أشد العرب فموتوا كراماً ثم ساروا إلى حجر وقد ارتحل نحوهم فى بنى كندة فالتقوا به واقتتلوا قتالاً شديداً وكانت المعركة بين أبرقين من بلادهم يدعيان إلى اليوم أبرقى حجر وكان صاحب أمر الأسديين علباء بن الحرث الكاهلى فحمل على حجر وطعنه بالرمح فى شاكلته فخرَّ قتيلاً وقيل إن قاتله كان ابن أخت علياء وكان حجر قد قتل أباه ولما قتل حجر انهزمت بنو كندة وفيهم امرء القيس بن حجر فهرب على فرس له أشقر فلم يدركوه وأسروا من أهل بيته رجالاً واغتنموا مالاً كثيراً وسبوا جوارى حجر ونساءً وفى ذلك يقول امرء القيس *

القاتلين الملك الحلاجلا
يا خير شيخ حسباً ونائلا
يحملنا والأسل النواهلا
مستغراتٍ بالخصى جوافلا

يا لهف هندٍ أن نلاقى كاهلا
تالله لا يذهب شيخى باطلا
وخيرهم ق علموا فواضلا
وحى صعبٍ والرشيح الذابلا

وقيل أن امرء القيس لما قُتِل أبوه كان بأرض اليمن في مكانٍ يقال له دمون وكان قد خرج مغاضباً أباه فلما آتاه الخبر بقتله أنشد يقول *

تطاول الليل على دمونِ دمون أنا معشرُ يمانون
وإننا لأهلنا محبون

ثم قال ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً والله لا أشرب خمرًا ولا أصيب امرأة ولا أغسل راسي حتى أدرك بثأري فلما جن الليل رأى برقًا بتلاً في جوانب الأفق فقال *

أرقت لبرقٍ بليلى أهل يضيء سناه بأعلى الجبل
أتانى حديث وكذبته بأمر تزعزع منه القل
بقتل بنى أسدٍ ربهم إلا كل شيءٍ سواه جلل
فأبن ربيعة عن ربهما وابن تميم وابن الخول
ألا يحضرون لدى بابه كما يحضرون إذا ما بذل

ولما رأى امرء القيس ضعف أمره وطاب القوم له لجاء إلى ابن عمته عمرو بن المنذر وكانت أمه هند بنت الحرث بن عمرو بن حجر آكل المزار وكان عمرو حينئذ خليفة لأبيه المنذر بقة وهي بين الأنبار وهيت فأجاره ومكث عنده زماناً ثم بلغ المنذر مكانه عنده فطلبه فأنذره عمرو فهرب وأخذ يستنصر قبائل العرب فلم ينصروه لوما رأى تحاذل العرب عنه استجار رجالاً وسار بهم إلى بنى أسد فظفر بهم وانثنى عنهم غائماً ولج المنذر بطلبه فتفرق أصحابه عنه ونجا في عصبية من بنى آكل المزار حتى نزل بالحرث بن هشام من بنى يربوع بن حنظلة وكان مع امرء القيس خمس دروع وهي الفضفاضة والصفاية والمحصنة والخريف وأم الذبول وكانت هذه الدروع لبنى آكل المزار يتوارثونها ملكاً عن ملكٍ فما لبث عند الحرث إلا قليلاً حتى بعث المنذر إلى الحرث مائة من أصحابه يتوعده بالحرب إن لم يسلم إليه بنى آكل المزار فأسلمهم ونجا امرء القيس ومعه يزيد بن معوية وبنته هند بنت امرء القيس

والدروع والسلاح وما كان قد بقى معه من المال وخرج على وجهه حتى وقع في أرض طى فنزل برجل من بنى جديلة يقال له المعلّى بن تيم وفي ذلك يقول *

كانى إذ نزلتُ على المعلّى	نزلت على البواذخ من شمام
فما ملك العراق على المعلّى	بمقتدر ولا ملك الشام
أصد نشاط ذى القرنين حتى	تولّى عارض الملك الهمام
أقرّ حشى امرء القيس بن حجرٍ	بنو تميم مصايح الظلام

ولبت امرء القيس عند المعلّى واتخذ إبلاً هناك فغدا قومٌ من بنى جديلة يقال لهم بنو زيد وطرّدوا الإبل وكان لامرء القيس رواحل مقيّدة عند البيوت خوفاً من أن يدهمه أمرٌ فيسبق عليها فخرج بها ونزل ببني نبهان من طى فخرج نفر منهم وركبوا تلك الرواحل يطلبون له الإبل فأخذتها جديلة أيضاً فرجعوا إليه بلا شيء فقال في ذلك *

عجبت له يمشى الخزقة خالدٌ	كمشى أتاها خُلّيت عن مناهل
فجع عنك نهبا صيح فى حجراته	ولكن حديثاً ما حديث الرواحل
كأنّ دثاراً حلّقت بلبونه	عقابٌ تتوقى لا عقاب القواعل
أبت أجاؤ أن تسلم العام جارها	فمن شاء فلينهض لها من مقاتل
بيت لبونى بالقربة آمنّا	واسرحها غيباً بأكناف حابل
بنو ثعلٍ جيرانها وحمايتها	وتمنع من رُمّة سعدٍ ونابل
تلاعب أولاد الوعول رباعها	دوينَ لسماءٍ فى رؤوس المجدل
مكللة حمراء ذات أسيرة	لها حبك كأنها من وصايل

ففرقت بنو نبهان على امرء القيس فرقا من المعزى يحتلبها فأخذها وقال *

إذا ما لم نكن أبلى فمعزى	كانّ قرون جلتها عُصي
إذا ما قام حالبها أرنت	كانّ القوم صبحهم نعي

فتملاء بيتنا اقطاً وسمناً وحسبك من غنى شبع وري

فأقام امرء القيس في بنى نبهان ما شاء الله ثم خرج من عندهم وجعل يتنقل من قبيلة إلى أخرى حتى نزل برجل من بنى فزارة يقال له عمرو بن جابر بن مازن وطلب منه الجوار فقال له الفزاري يا ابن حجر أنى أراك في خلل من قومك وقد كدت بالأمس توؤكل في ديار بنى طى وقد علمت أن أهل البادية أهل وبر لا حصون تمنعهم فليس لك إلا السموال بن عادياء صاحب حصن تيماء فإنه يمنع ضعفك ويحول دون من يطلبك وأنا أوصلك إلى من يقدم بك عليه فأجاب امرء القيس إلى ذلك وأوصله عمرو إلى رجل من قومه بنى فزارة يقال له الربيع بن ضبيع الفزاري وكان ممن يزور السموال فيكرمه بالعطايا فقال الربيع لامرء القيس أن السموال يعجبه الشعر فهلهم نتناشد أشعاراً فقال امرء القيس حباً وكرامة فقال الربيع

قل للسموال أى حين نلتقي بفناء بيتك فى الحوض المزلق

وهى طويلة يقول فيها *

ولقد أتيت بنى المضاف مفاخرأ
فأتيتم أفضل من تحمل حاجة
عرفت له الأقوام كل فضلة
وإلى السموال زرتة بالأبلى
أن جئت في غارم أو مرهق
وحوى المكارم سابقاً لم يسبق

فقال امرء القيس قصيدته التى يقول فى مطلعها *

طرتك هند بعد طول تجنب
وهنا ولم تك قبل ذلك تطرق

وهى طويلة لا حاجة إلى استيفائها ثم وفد الفزاري بامرء القيس على السموال فأكرمهم وأنزلهم في مجلس له وأقام امرء القيس عنده أياماً ثم طلب إليه لأن يكتب إلى الحرث بن أبى شمر الغساني بالشام أن يوصله إلى قيصر ملك الروم ويشرح له قصته ويستنجد له فكتب له السموال واستودعه امرء القيس الدروع والمال

والمرأة التي كانت معه وترك عندها يزيد بن معاوية بن الحرث من بنى عمه ومضى حتى انتهى إلى بلاد الروم وكان في صحبته عمرو بن قمية فأنشد امرؤ القيس يقول:

سما لك شوقٌ بعدما كان أقصرًا	وحلت سليمي بطن قوٍ فعرعرا
كنانيةً بانَتْ وفي الصدر ودها	مجاورةً غسان الحى يعمرًا
تذكرتُ أهلى الصالحين وقد أتت	على جملى خوض الركاب وأوجرا
فلما بدت حوران فى آلال دونها	نظرت فلم تنظر بعينيك منظرا
تقطع أسباب اللبانة والهوى	عشية جاوزنا حماة وشيزارا
لقد أنكرتنى بعلبك وأهلها	ولا بن جريح فى قرى حمص أنكرا

وهى طويلةٌ اقتصرنا منها على هذه الأبيات ولما دخل امرؤ القيس على قيصر شكاه إليه حاله وسأله أن يمدّه بجيشٍ إلى بلاد العرب فلم يجبه فعاد راجعًا حتى انتهى إلى بدةٍ من بلاد الروم يقال لها أنقرة وكان به مرض السل فاشتد عليه هناك فلبث بها مدة إلى أن أنهكه السقم فعلم أنه ميتٌ لا محالة وكان قد أخبر بأن امرأة من بنات الملوك ماتت هناك فدفنت فى سفح جبل يقال له عسيب فقال:

أجارتنا أن الخطوب تنوبُ	وإنى مقيمٌ ما أقام عسيبُ
أجارتنا أنا غريبان ههنا	وكل غريبٍ للغريب نسيب
فإن تصلينا فالقراية بيننا	والإن تعجرينا فالغريب غريب

ثم مات فدفن هناك إلى جانب قبر المرأة وكان ذلك سنة تسع وثلثين وخمسمائة للمسيح وكان امرؤ القيس نحيف الجسم معتدل القامة صبيح الوجه حسن الأخلاق كريماً مشهوراً بالفصاحة وكان من فحول الشعراء فى الجاهلية وأحسنهم نظماً وهو أول من أحكم القوافى على ما قيل وكانت أمه فاطمة بنت ربيعة بن الحرث بن زهير أخت كليب والمهلhel التغلبين وكان يكنى بأبى وهب وقيل بأبى الحرث وكان يقال له الملك الضليل ويقال له أيضاً ذو القروح وإياه عنى الفرزدق بقوله:

وهب القصايد لى النوابع اذ مضوا وأبو يزيد وذو القروح وجروّل

وكان مولده ببلاد بنى أسد وكان ينزل فى حصن بالبحرين وكان ينازع الشعراء
قيل أنه نازع التوام اليشكرى فقال إن كنت شاعراً فأرجز أنصاف ما أقول فقال
التوام قل ما شئت *

فقال امرء القيس
أحار ترى بريقاً هباً وهناً
فقال التوام
كنار الفرس تستعر استعاراً
فقال امرء القيس
أرقتُ له ونام أبو شريح
فقال التوام
إذا ما قلت قد هدأ استطاراً
فقال امرء القيس
كأن هزيمته بوراء غيب
فقال التوام
عشارٌ وُلّةٌ لاقت عشاراً
فقال امرء القيس
فلما أن دنا لقفا أضاح
فقال التوام
وهت إعجاز ريقه فحاراً
فقال امرء القيس

فلم يترك بذات السرّ طيّاً

فقال التوأم

فلم يترك بجهلها حماراً

وأحاديث امرء القيس ومفاوضات مع الشعراء كثيرةٌ لا حاجة إلى استيفائها

بالتفصيل